ملحق اسبوعي يصدر عن مؤسسة المدى
للاعلام والثقافة والفنون

العـدد (1342) الاثـنـيـن (13) تـشـريـن الاول 2008

جميل بشير في ذكرى وفاته

عاشق العود الذي اسس اول ستوديو للموسيقى في العراق

الموسيقار جميل بشـير ، الموصلي المولد (عام ١٩٢١) والراحـل فـي لندن عـام ١٩٧٧ ، وبين هذين التاريخين اللذيـن بينهما تمتد (٥٦) عاما ، تنم عن رحيل مبكر لمبدع مميز ، جميل بشـير رسـم لنفسـه توهجات لايمكن لاحد ان لا يراها بأحساسه ومشاعره ، فقد كان (العود) أداته التي دوّن عليها ابداعاته ومنجزاته وسـحر موهبته ، دوّن عليهـا ما يجيش في صدره بعد ان يشـعر انه يسـتحق ان يولد ليسمعه الناس ، فكان (احد اعمدة المدرسـة البغدادية الحديثـة للعود التي ارسـى الشـريف محي الدين حيدر قواعدها في الثلاثينيـات ليكون احد ابـرز ثلاثة عازفين على العود (جميل بشير، منير بشير، سلمان شكر) .

وفاته كان مفاجأة ونزل كالصدمة على قلوب عشاقـه ومريديه وأهـل الغنـاء والموسيقى الذين يعرفون قيمة ما قدمه للاغنية العراقية ، نقلـت وكالة الانبـاء الفرنسيـة خبر وفاته وجعلت موج الاحزان يتلاطم ، فليس هنالك من لايعرف جميل بشير الفنان الذي امتلأت حياتـه بالموسيقى ، وصـارت الانغام تحلق كالطيـور مـن غرف قلبـه وشرفـات روحه ، واستطـاع ان يـبرع في ايصـال الموسيقـى الشرقيـة الى العـالم ، ومـا زلـت احتفـظ بنسخة من مجلة (الاذاعة والتلفزيون) التي نعتـه بعنوان قالـت فيه (رحـل جميل بشير وهو يعزف من أجل بغداد) .

جميل بشير الذي .. وان لم يغب عن الذاكرة ، الا انه غاب عن استذكار المؤسسات الثقافية ، لم يعـد هنالـك من يمر على ذكـرى رحيله ، او يعطـي لمقطوعاتـه الموسيقية فسحة على الشاشـة او الاثـير ، وهـو رمـز مـن رمـوز العراق الثقافية التي يفتخر بها .

وفي ذكـرى رحيلـه الثلاثـين .. لابـد ان نستذكره ، نستذكـر شيئا من مسيرة حياته التـي نعرف منهـا انه ولد وترعـرع في بيئة مفعمـة بالفـن ، فتعلـم العـزف علـى العـود تأثـر بوالـده الـذي كان يعـزف عليـه ، ثـم صار يغني مـا يسمعه من الاسطوانات التي يقتنيهـا ابوه ، وهذه النشـأة في بيت بشير تربـى عليهـا ثلاثة من ابنائـه (جميل ومنير وفكـري) وكانوا بارعين في حـب الموسيقى ، ونقـرأ في سيرتـه ايضـا انـه : (درس النوتـة العربية مـع احد اساتـذة الموسيقى في الموصـل ، وفي عـام ١٩٣٧ سمعـه وهو يعـزف على العـود في بغداد وزيـر المعارف ومديـر المعارف آنذاك ، بدعـوة من المرحوم حنـا بطرس ، ثـم عـين بعدهـا في الاذاعـة براتـب قـدره ستة دنانـير ، بعد ذلـك افتتح في بغداد معهد خاص للموسيقى كان مديره الاستـاذ الشريـف محـي الديـن حيـدر وقد درس جميل في سنته الاولى على آلة الكمان وحصـل على درجة امتياز ، لكنه احب العود واحـب سماع صوته وهو يعزف من استاذه الشريف محي الدين ، ولم يخـف رغبته بتعلم العـزف على آلة العود فطلب مـن استاذه ان يدرسه هذه الالة خاصـة وان صوتها يدخل الى اعماقـه واحاسيسـه ، ورحـب الشريف بفكرة جميل واخذ يدرسه العزف على العود وهكذا انتهـت السنة السادسـة وهو يدرس العـود ، ثم عـين مساعدا لاستـاذه في المعهد الموسيقي وعازفـا في الاذاعة ورئيسا لفرقة ثـم رئيسا لقسم الموسيقى في الاذاعة ، وهو يعتـبر أول عازف ومؤسس لقسم الموسيقى في الاذاعـة العراقيـة واول مـن اسس فرقة موسيقيـة للاطفال ، وبـدأ جميل عام ١٩٥٢ بممارسـة التدريـس ، وقـدم حفـلات كثيرة للوفود التي كانت تـزور العراق آنذاك حتى احيـل علـى التقاعد عـام ١٩٦٨ ، ولـه كتاب مؤلف بجزءيـن يدرس في تركيـا والقاهرة ، ولـه قيمـة موسيقيـة عاليـة ، والكتاب عن اصـول تعلم العـزف على آلة العـود عنوانه (العود وطريقة تدريسه) وكان الراحل يعبر عن حبه للآلة العود وبأنها لايمكن ان تنتهي ، الا انها بحاجة الى التطور باستمرار ، فكان أول من اسهم في تطويرها وذلك بأضافة وتر اضافي لها ، وقد كان الراحل لايعتقد بوجود موسيقى شرقيـة وغربية ، بل كان يذكر (ان هناك موسيقـى تنبع من الشرق فقط خاصة مـا بـين النهريـن) ، وكان يـردد دائمـا (ان الكـثرة او القلة ليسـت مقياسا لنجاح فنان) ، وهـو لذلـك لم يقدم علـى تسجيل عمل فني مـا لم يكن راضيا عنه تمامـا ، فقد صرح في احـدى المـرات وعـام ١٩٧١ بعـد ان اتهمته مجلـة (الاذاعة والتلفزيـون) البغدادية بأنه لم يقدم شيئا للاغنية بأن لديه الحانا غنائية ولكنه بحاجـة الى من يؤديها حتى يستطيع ان يعطيه اياها) .

هذا جـزء بسيط من سيرة ثرية ورحلة فنية مفعمـة ، ولكـن يجـب استطـلاع رأي اهـل الاختصاص في ما قدمه للموسيقى العربية وقيمتها الفنية.

يقـول الناقـد الموسيقـي المعـروف عـادل الهاشمي : جميل بشـير احد تلاميذ العازف الكبير الشريف محي الدين حيدر ، وهو يكاد يكون انبغ التلامذة من حيث قدراته الفنية ، وجميل بشير ايضا احد عازفي مدرسة العود التركيـة التي انشأها الشريـف حيدر عندما جـاء الى بغداد عام ١٩٣٦ حيـث انشأ معهد الفنـون الجميلة وصـار الشريف حيدر أول مدير لهـذا المعهد في بغداد ، وهـذه المدرسة التركيـة تتلخـص في ان العـزف على العود هو محاولة لنقل التقنية العزفية الغربية الى آلة العود العربية ، وهذه المدرسة تحاول ان تعطـي لهـذه التقنيـة مساحة عزفيـة تغلب علـى الطابع التقليدي للعـود العربي ، وهي بالمقابـل تؤثـر ان يكـون للعـود طريقته في التعبـير ، بمعنى انها لاتعـزف على الطريقة المصريـة (٢-٣) بينما هي تؤثر العزف على الطريقـة التركيـة (٧-٨) وهـي طريقة فيها قدر من الحساب الرياضي ، تعزف بالطريقة المقلوبة وليست الاعتيادية المصرية ، وعليه فهنـاك طريقتين للعـزف : التركية والمصرية ، جميـل بشـير آثـر الطريقة التركيـة وكان بارعـا غايـة البراعة في نقل افـكار الشريف محـي الدين حيـدر ، لكـن جميـل لم يستمر في الاتجـاه تماما انمـا التفـت الى الطريقة العربية في العـزف على آلة العود حيث اخذ يعـزف (المشارف والسماعيـات واللونجات والتقاسيـم والـدولاب والتحميلة) وبذلـك ضمـن لنفسـه قـدرا مـن الارتبـاط بالروح العربية ، واضاف الهاشمي : جميل بشير .. عازف كبير وله قطع موسيقية رائعة ، كما انه عزف كل قطع الشريف حيدر كما عزف لكبار الموسيقيـين العـرب وفي طليعتهـم : محمـد عبـد الوهـاب والقصبجي وفريـد الاطرش ورياضـ السنباطي ، الى جانـب ذلك توليه الاشراف علـى استديو انشـأه بنفسه فأخذ يسجـل الفلكلور العراقي وقـام بتنظيم هذا الفلكلور وتقديمه بأصوات فردية وجماعية عراقية ، الى جانب تلحينه الاناشيد والقطع الوطنية وتـولى تقديم ناظم الغزالي مطرب العـراق الكبـير في انصع صـورة موسيقية ، وايضـا تـولى تقديم الحان كبـار الملحنين العراقيـين مـن امثـال يحيى حمـدي ورضا علي وسمير بغـدادي واحمد الخليل وناظم نعيم وعلاء كامل وغيرهم.

واستطـرد الهاشمـي في حديثـه قائـلا : وتعتبر طريقة العـزف عند جميل بشير هي الاقـرب الى الوجدان العراقـي عن غيره من العازفـين الذين ينتمـون الى مدرسته ، ولقد كتب (ميثود) (منهـج للعود) يعتبر من ابرع مـا كتـب للعـود ، ولقيمتـه الاساسيـة فهـو يدرس في معاهـد العراق جميعاً، الى جانب انه اسهم بقدر أو آخر في ترقية العود .. لماذا ؟ ، لانـه بالاصل هو عازف علـى آلة الكمان ، حيث نقل تقنية الكمان الى آلة العود .

امـا الدكتـور هيثـم شعوبـي فقـال : يعـد الموسيقـار الكبـير جميل بشير احـد اعمدة الموسيقـى العراقيـة وهو مـن اوائل تلاميذ الشريـف محي الدين حيـدر مؤسس وعميد معهد الفنون الجميلة الى جانب اخيه الفنان منير بشير وسلمان شكر وغانم حداد وامين خاكي ، هؤلاء يعتبرون مـن التلامذة الذين ارسـوا دعائم مدرسة العـود العراقية ، وفي طلائع هؤلاء جميـل بشير حيث استطاع ان يقدم لطلبة المعهد (ميثود) وبجزءين بطريقة التقنيـات عن آلة العـود وتطورها من خلال وضعـه لمجموعـة مـن المؤلفات الموسيقية استطـاع بهـا ان يتقدم الى مرتبـة عالية من التقنية حولها من آلة مصاحبة للغناء الى آلة تعبر عن نفسها من خلال التقنية العالية .

واضـاف الدكتور هيثم : كما يعـد ايضا من الاوائل الذين يملكون استديو في بغداد في الستينيـات ، وكان منافسـا وحيـدا للاذاعة والتلفزيون ، فالكثير من الاغاني التي لحنها ناظم نعيم لناظم الغزالي إضافة الى الاغاني التراثية القديمة قام بتوزيعها توزيعا جديدا ، كان التوزيـع جديدا علـى الاغنية العراقية ولم يعـرف عنهـا انهـا تـوزع ، ايضا ان جميل بشير معـ و ف عا ليـا و سيمـا تر كيـا بلـد العود والموسيقـى ، كما هو معروف في العـالم الشرقي الى جانب اخيـه منير بشير ، كمـا ان (ميثـوده) الذي نقلـه حبيب ظاهر العباس من التركيـة الى العالمية يعد مرجعا اساسيـا للكليـات والمعاهـد لما له مـن تقنية عاليـة ، كما ان جميل مـن اوائل الذين قاموا بتدريـس العـود في المعهـد في اربعينيـات القـرن الماضـي بعـد الشريف حيـدر بعد ان تفوق على دفعته .

وأضـاف الدكتـور هيثـم قـال ايضـا : مـن الطريـف ان اذكـر ان لجميل بشـير معزوفة عنوانهـا (ليـت لي جنـاح) الفهـا وطلب من الذيـن يستطيعـون عزفهـا بتقنيـة عالية ان يعطيـه جائـزة ، في ذلك الوقت قـال (٢٥) دينارا ، وكان يتحدى بها عازفي العود .

الكرخي بريشة
فيصل لعيبي

حكاية النساء في شعر الملا عبود الكرخي

لا يختلف اثنان في ان الشـاعر الشـعبي(الملا عبود الكرخي) يعد واحـدا من نوابغ هذا العصر في الشـعر العامي. فقد كان مدرسة لهذا النوع من الشعر وله طريقة خاصة في نظمـه، وهو يختار من لغة التفاهـم ألفاظا واضحة دالة على معـان جليلة وينتقي من الكلمات ما يألفه الحضري والبدوي وقد جمع في اسلوبه بين لغة العوام ومايقارب اللغة الفصحـى تدريبا للعوام على الفصيح من القول وهو اسـلوب حديث في الأدب العامي، والأدب العامي في بلاد تتغلب عليها الأمية لا يقل شـأنا عن أدب الخواص. ولد الشـاعر الكرخـي عام ١٨٦١ في جانب الكرخ من بغداد لأبٍ واسـع الثـراء يتاجر بالإبل والجلود. وقد ادخله والده الكتاتيب وهو في السادسة من عمًره، وبعد ست سنوات ترك الكتاتيب وأخـذ يرتاد حلقـات الدرس في مسـاجد بغداد. وعندما بلغ الخامسـة عشـر من عمره دخـل معتـرك الحياة العملية حيث كان يرافق والده فـي تجارته الى الدول الأخرى، وقد أججت هذه السـفرات شاعريته فبدأ ينظم الشعر باللهجة البدوية. وعندما بلغ الخامسة والثلاثيـن مـن عمره توفى والده فعاد إلى بغداد واسـتقر بها حيث عمل في مجال نقل المسافرين وتجارة المواد الغذائية وقد كان وكيلا عاماً لها.

يوسف ثويني

كمـا انـه كان يجيـد التحـدث باللغـات الكرديـة والفارسيـة والتركيـة والألمانيـة التـي أتقنهـا من خـلال تعاملـه الدائم مـع الشركات بهـذه الدول في أثناء عمله التجـاري. وقد كانت له مواقفه الوطنية البـارزة حيث التحق للقتـال مـع المجاهدين عندما قامت الثورة العربية عام ١٩١٦. وفي عهد الاحتلال الإنكليـزي للعراق أخذ ينشـد القصائد الوطنية في جامع الحيدرخانة، وكان ينظم المظاهرات ويقودها بنفسه. وفي عام ١٩٢٧ أصدر جريدة(الكرخ) حيث لاقى بسببها الكثير من العنت فسجن وأوقف وسيق الى المحاكم عدة مرات. وقد عمل في ميدان الصحافة ستـة عشر عاما أصدر خلالها عدة مطبوعات الى ان تدهـورت صحته عام ١٩٤٢ فأنقطع عن نظم الشعر ولازم بيته حتى وافته المنية عام ١٩٤٦.

أمـا بالنسبـة لحياتـه الخاصة فقد تـزوج وهو في العشريـن مـن عمـره وبعـد فـترة توفيـت زوجته فتـزوج بثانيـة ثـم توفيت فتـزوج بثالثـة فتوفيت أيضا فتـزوج برابعة وكان عمره آنذاك ستين عاماً، وقد أنجب مـن زيجاته خمسـة أولاد وثلاث بنات. وقد تناول في نظمه ونثره الوصف والمدح والرثاء والنقد والتفنيد والمزاح ولم يترك فرصة إلا انتهزها للتنبيـه إلى ما شذ عنه القوم. ومن جملة مانبه إليه واهتـم بـه وبقضيتـه المـرأة بـكل مالها ومـا عليها فهو يـرى فيهـا أمه وأختـه وزوجتـه وابنته حيث آزرهـا ونصرها بالثورة في وجـه الظلم والطغيان المحيـق بها بنظمـه عدد مـن القصائـد في مقدمتها رائعتـه الشهيرة(المجرشـة) فقد عالج فيهـا تعاسة المـرأة العراقيـة البائسـة وشقائهـا في حياتها، كل ذلك بأساليـب انتقادية لاذعة، حيـث يصف المعاناة الحقيقية للمرأة بقوله :

ذبيت روحي عالجرش وادري الجرش ياذيها
ساعة واكسر المجرشة والعن أبو راعيها
ساعة واكسر المجرشة والعن أبو راعي الجرش
كعدت يا دادة أم البخت خلخالهة يدوي ويدش
وآني استادي لو زعل يمعش شعر راسي معش
هم هاي دنية وتنكضي واحساب اكو تاليهه

مقاطـع مـن قصيـدة المجرشة الشهـيرة كما غناها (محمد القبنجي)

وقد قوبلت هذه القصيدة الرائعة بالاستحسان من الجميع حتـى ان الشاعر معـروف الرصافي ذكرها في إحـدى قصائده التـي أرسلها للكرخـي فقد جاء فيهـا : وصـف لنـا ابنة بؤسـ ذات مجرشـةٍ تقطع الليل في نوحٍ وتعديد.

وفي قصيـدة أخـرى نظمهـا عندمـا زار مدينتـي البصرة والعمارة ولاحظ الحالة التعسة التـي وصلت إليها المـرأة العاملة هناك جاء فيها :

يحكلـي أن اكسـر العـبرة بصـدري واجذب أنا الحسرة
مـن شفت حـالاْ البصرة زادت همومي عليه
المرأة فوك الراس تحمل طين والأخرى تحمُل
وثالثة أكوام تنشل زبل عند البلدية
ورابعـة تجـر السفينـة وخامسة تدير المكينة
وسادسـة الغـبرة الحزينـة خادمـة للارمنية
وسابعـة تحمـل تـراب وثامنـة تكرب كراب
وتاسعـة تحمل حجـار وعاشرة تنزح آبار
حاملـة الظيم ومرار وعطش والجوع وأذية
الله يقبلهه العوبة الصيف بنكة الشتة صوبة
وأخت رزنة بالرطوبة تنام نوم السرسرية

وفي سياق دفاعه عن المرأة وحقوقها عمل من جانب آخر على الوقوف بوجه كل دعاة الانحلال الأخلاقي والسفور، بعد ظهور بعض الدعوات لخلع الحجاب والـذي تبناه البعض ومنهـم الشاعر جميل صدقي الزهاوي حيث كتب قصيدة شهيرة جاء فيها :

اسفري فالحجاب يا ابنة فهرٍ هو داءٌ في الاجتماع وخيم
اسفري فالسفور صبحٌ بهيٌ والحجاب ليلُ بهيم

فكان رده قوياً حيث اشترك في عدة مناقشات حادة على صفحـات الجرائد البغدادية مـع دعاة السفور وكان لـه عدة قصائد يرد فيها على هؤلاء حيث كتب قصيدة بعنوان(السافرة) جاء فيها:

بنـت الحمولـة شلهـت ذرعانهه وكصـت شعرهه وكصّرت فستانهه
تمشي رهيفة ولابسة التنورة للركبة تشبه ناكة المطبورة
بالبيـت جانت كل وكت مستورة ماشافهة السقة ولاجيرانهه
لنسـوان اوربة النجيبة تنتمـي وتركت الدارية وثوب الهاشمي
ملبوسهـة بالصيـف ملمـل دائمـي جواريـب لحمي
و طا يـر ا ت اردانهه يا
جسمـي نحـل ناس روحـي تمرمرت
مـن هالعمـل وأفكاري مني اتشتت
وسفـة علـى أهـل العـراق الاصبحت مـن غير بركع سافره نسوانهه

وفي قصيـدة أخـرى يـرد فيهـا علـى كاتبـة مـن دعـاة السفـور معروفـة آنذاك باسم(لامعة) جاء فيها :

يـا أديبـة (لامعـة) شعـري النـثرج دافعة
حقج ومامن فائدة من عندنا يا سيدة
لازال نفسـج رايـدة فوتـي وبابـج واسعة
قرينا بشرحج يامرة انتي عتيكة سافرة
ومن المحقق باهرة وبوب الخلايك قارعة
ماينركع شكج وسِع ما يقبل اخياط وركِع
وبالأمة صار اكبرَ صدِع والسبب انتي الصادعة

التطـرف التحجبـي الحجاب الاسلامي المعقول العري الغربي ..

وخير الامور اوسطها!!

هـذا هو شاعرنا الكبير الكرخي في نصرته للمـرأة الانسانـة بـكل مـا لديها مـن كرامة وكبرياء وعزت نفس ضد كل من يحاول ان يظلمهـا او يلوث تاريخهـا ومواقفها فكان شعره انتفاضـة ضد كل المفاهيم الخاطئة السائدة في المجتمع.

لقد كان الكرخي إنساناً بكل معنى الكلمة < مخلصاً لكل قضيةٍ يرفـع لواء الدفاع عنهـا < ساعياً إلى إحقـاق الحـق في كل زمـان ومـكان < لذلك حـق له أن يكـون في مقدمة رجـالات عصره اللذين تركوا آثاراً قيمةً بين الناس على اختلاف مستوياتهم وأفكارهم.